قصة مالك بن دينار وابنته التي ماتت وكيف كانت سببًا في توبته

سُئل مالك بنُ دينار عن سببِ توبته فقال: قد ولدت لي بنتٌ قد شَغِفْتُ بحُبِها، فلما دبت على وجهِ الأرض، ازدادت في قلبي تعلُقًا، وكُنتُ إذا أخذتُ الخمر قامت إليَّ تُحاذبني إياها حتى يقع على ثوبي، فلمّا أتمّت السنتين **ماتت**، فحزنتُ لذلِك حُزنًا كثيرًا حتى بتُ تلك الليلة سكران من كثرة ما شربت. فرأى في المنامِ وكأن أهل القبورِ قد خرجوا وحُشِرَ النّاس وأنا معهم فسمعت خلفي صوتًا، فالتفتُ فإذا أنا بثعبانٍ عظيم من أعظمِ ما يكون منظرهُ مخيف، أسود أزرق قد فتحَ فمهُ إليّ، فالتفتُ مُسرِعًا ومررت بين يديه فزِعًا خائفًا مرعوبًا فمررتُ بشيخٍ نقي الثوب حسنِ الخِلقة طيب الرائحة فسلمت عليه فرد عليّ السلام، قلت: أغثني وأنجدني، قال: أنا ضعيف وهذا أقوى مني ولا أقدرُ عليه أسرع لعل الله يُسَبِبُ لك من ينجيك، قال: فصعدت على شرفةٍ من شُرفِ يوم القيامة، فأشرفت على النّار فرأيت أهوال النّار وكِدتُ أن أقع فيها من فزعي من الثعبان، فإذا أنا بصوت ينادي **عد فإنّك لست من أهلها**، فاطمأن قلبي ورجعت والثعبان يُلاحقني فمررتُ مرة ثانية على الشيخ وقلت له: طلبتُ أن تساعدني فلم تفعل فبكي الشيخ وقال: أنا ضَعيف وهذا أقوى مني ولا أقدرُ عليه ولكن

سِر إلى هذا الجبل فإن فيه ودائِعَ المسلمين[1]، قال: فنظرت إلى جبلٍ مستدير فيه ستور من حرير ومصاريع من الذهب الأحمر مكللٌ بالدر والياقوت فنادى أحدُ الملائكة ارفعوا السُتور وافتحوا المصاريع لعل لهذا البائس وديعة تنجيه من عدوه، قال: فرأيتُ أطفالًا وجُوههم كالأقمار أشرفوا عليّ وقد اقتربَ الثعبان مني فَتَحيرت من أمري فقالوا: ويلكم أشرِفوا كُلّكُم فقد اقترب منه فأشرف عليّ الكل فإذا أنا بابنتي التي ماتت وهي تبكي وتقول: **أبي والله**. ثم اقتربت مني وأشارت بيدها اليسرى فتعلقت بها وبيدها اليُمنى إلى الثعبان فهربَ منها ثم أجلستني وقعدت في حجري قالت: يا أبتي ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ قلتُ: يا بُنَيّتي أتعرفون القرءان؟ قالت: يا أبي نحن أَعرَفُ بالقرآنِ منكم. قال: فأخبريني ما الثعبان؟ قالت: هو عَمُلك السيّئ قويته حتى كاد أن يغرقك في نار جهنم. قال: فما الشيخُ طيب الرائح؟ قالت: هو عَمَلُك الخير أضعفته حتى لم يكن له طاقة على عملك السيّئ. قال: فماذا تنتظرون؟ فقالت له: نحن ودائعُ المسلمين ننتظركم تقدمون علينا فنشفع فيكم. قال فانتبهت من نومي وندمت على تفريطي وتبت إلى الله وهذا سبب توبتي.

[1] أي أولاد المسلمين الذين ماتوا وهم صغار.